

2013

جوانب من الشخصية العلمية لمحمد المرغتي من خلال فهرسة إجازته للحسن اليوسي

مبارك لمين
كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير، جامعة ابن زهر، المغرب

Follow this and additional works at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat>



Part of the [History Commons](#)

Recommended Citation

"لمين، مبارك (2013) جوانب من الشخصية العلمية لمحمد المرغتي من خلال فهرسة إجازته للحسن اليوسي
Dirassat: Vol. 16 : No. 16 , Article 9.
Available at: <https://digitalcommons.aaru.edu.jo/dirassat/vol16/iss16/9>

This Article is brought to you for free and open access by Arab Journals Platform. It has been accepted for inclusion in *Dirassat* by an authorized editor. The journal is hosted on [Digital Commons](#), an Elsevier platform. For more information, please contact rakan@aarj.edu.jo, marah@aarj.edu.jo, u.murad@aarj.edu.jo.

جوانب من الشخصية العلمية لمحمد المرغتي من خلال فهرسة إجازته للحسن اليوسي

مبارك لمين

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة ابن زهر - أكادير

يعتمد التأريخ للعلم والعلماء في الجنوب المغربي على مادة مصدرية متعددة الأصناف، ومتباينة التوزيع الجغرافي؛ فعلى مستوى الصنف، نقف على كتب التراجم بمختلف أنواعها، ومصنّفات الأنساب، والرحلات، والفهارس، والإجازات، وغيرها. أما على مستوى التوزيع الجغرافي، فيمكن التمييز بين المصادر السوسية، والمصنّفات الصحراوية، والمؤلفات الدرعية.

ويصبو هذا المقال إلى الوقوف على صنف من المصادر السوسية وهو الفهرسة لمعالجة جوانب من شخصية علم من أعلام سوس، ويتعلق الأمر بمحمد بن سعيد المرغتي السوسي الذي يعد من الشخصيات العلمية التي عرفها مغرب القرن الهجري الحادي عشر/الميلادي السابع عشر. وقد تناولت مؤلفات عديدة⁽¹⁾ هذا العلم، ويكاد الطابع التتمطيغلب على هذا التناول لشخصية المرغتي بسرد أطوار حياته العلمية والتعليمية خلال مرحلتين الأخذ والعطاء، دون النفاذ إلى عمق هذه الشخصية على مستواها العلمي بتفكيك متون المادة المصدرية التي أرّخت لها.

ولتحقيق جانب من هذا الهدف، جاء هذا المقال المتواضع معتمدا على فهرسة إجازة المرغتي لأبي علي اليوسي مصدرا أساسيا للوقوف على جوانب من الشخصية العلمية لهذا العلم السوسي. وقبل

الخوض في التحليل، تقتضي منهجية البحث العلمي الوقوف عند دواعي اختيار هذا الموضوع ومحدداته.

(1) ترجم لمحمد بن سعيد المرغتي كل من: اليوسي في «الفهرسة»، والإفراني في «الصفوة»، والقادري في «نشر المثاني» و«التقاط الدرر»، والكتاني في «السلوة»، والحضيكي في طبقاته، وابن الموقت في «السعادة الأبدية»، والمختار السوسيفي «المعسول» ج10 و«سوس العالمة»، وأحمد الولايلي في «مباحث الأنوار»، ومحمد الحجوي في «الفكر السامي» ج2، والزركلي في «الأعلام» ج6، ومحمد اشرفي، تقديم: «العوائد المزرية بالموائد»، ج1/ص43 - 80، وغيرهم.

1. دواعي اختيار الموضوع ومحدداته

1.1. دواعي اختيار الموضوع ومشروعيته

تم الإقدام على خوض ثبج البحث في هذا الموضوع لداعيين إثنين:

أولهما: المكانة العلمية لطرفي الإجازة

أ. الطرف الأول/ الأستاذ المجيز

هو أبو عبد الله محمد بن سعيد السوسي المِرغَتي⁽²⁾، (1007-1089هـ/1599-1678م)، العلامة المشارك المحقق، سجل عطاءه العلمي تدريسا وتأليفا، وقد عد له محمد المختار السوسي⁽³⁾ حوالي عشرين مؤلفا في مختلف التخصصات العلمية، وعرفت العديد من مؤلفاته إقبالا من الناس في المدن والقرى، وهو «علامة متفوق في فنون، معتن بالأسانيد والطب والرياضيات، مدرس عابد مؤلف، صوفي كبير»⁽⁴⁾، مما جعله إماما مقصودا بمراكش، موقرا عند العامة والخاصة⁽⁵⁾؛ وقد نال الحظوة لدى حكام زمانه، كما اشترأت إليه أعناق أهل العلم طلبا لعلمه، ويعد أبو علي الحسن اليوسي من الشخصيات العلمية التي استجازت الميرغتي.

ب. الطرف الثاني/ الطالب المستجيز

هو أبو علي الحسن بن مسعود اليوسي⁽⁶⁾ (1040-1102هـ/1631-1691م)، عالم المغرب وأديبه، حفظ القرآن منذ صغره، وتوزعت رحلته العلمية بين ودرعة وسجلماسة ومراكش وزاوية الدلاء⁽⁷⁾. أخذ عن عدة شيوخ منهم محمد بن سعيد المِرغَتي أيام الحداثة بالجلوس إليه، وأيام الكهولة بطلب الإجازة موضوع هذا المقال.

(2) المِرغَتي نسبة إلى قرية «مِرغَت» التابعة لدائرة لخصاص، إقليم تيزنيت. وقد عمد بعض من كتب عن هذا العلم إلى ضبط اسمه كالتالي: المِرغَتي أو المِرغَتي أو المِرغَتي، وفي تقديرنا أن الصواب ما أثبتناه باعتبار ما استقر عليه اسم بلدته ضبطا ونطقا، كما أن الزركلي وقف على هذا الضبط الذي أكد له المختار السوسي، ينظر: الأعلام، 6/ 140.

(3) سوس العامة، ص. 182.

(4) رجالات العلم العربي في سوس، ص 40 (الأخصاصيون، رقم: 1).

(5) صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، صفحات 241 - 242.

(6) له ترجمة وافية في: فهرسته كلها، والماضرات، وغيرهما من المصادر، ومجلة المناهل عدد 15 بكامله.

(7) تأسست الزاوية الدلائية سنة 974هـ/1566م، ببجبال آيت إسحاق في المنطقة الواقعة بين خنيفرة وقصبة تادلا، واستمرت هذه الزاوية في تأدية رسالتها العلمية والتربوية لمدة تناهز 100 سنة، للتوسع في الموضوع ينظر: محمد حجي، «الزاوية الدلائية ودورها الديني والعلمي والسياسي».

وعلى مستوى عطائه العلمي، درّس بزاوية الدلاء وبفاس. ومن مؤلفاته: كتاب «المحاضرات»، و«فهرسته». وأورد ذكر شيوخه في هذين المؤلفين.

وقد بوّأته مكانته العلمية لنيل الحظوة لدى المخزن، فكان من الشخصيات التي بايعت السلطان العلوي المولى إسماعيل في 15 ذي الحجة 1082هـ/13 أبريل 1672م⁽⁸⁾، أي قبل سنة من استجازته لأستاذه المرغتي، وتكتسي هذه الإجازة جانباً من الأهمية في قيمتها العلمية.

ثانيهما: القيمة العلمية لهذه الإجازة

تعتبر هذه الإجازة إحدى إجازتي المرغتي الطويلتين الواردة في «فهرسته»، إلى جانب إجازته للشيخ محمد بن ناصر الدرعي وأخيه الحسين. وتكتسي هذه الإجازة قيمة علمية من عدة نواحي، منها:

أ. الناحية التعليمية: برصدها لمراكز التعليم، ومواد الدراسة، وطرق التدريس، وشيوخ العلم.

ب. الناحية الوثائقية: بضبطها لسند بعض المرويات، وتحديد الطرق التي ينتقل بها المؤلف.

ج. الناحية الأدبية: على مستوى أسلوب الكتابة، وعلى مستوى أصناف النص الأدبي فيها من شعر ونثر.

د. الناحية المنهجية: بإبرازها لمنهجية الأستاذ المجيز في سرد معطيات الإجازة شكلاً ومضموناً.

1.2. محددات الموضوع

أولاً: على مستوى الزمن

وقعت هذه الإجازة سنة 1083هـ/1672م، فقد جاء في قيد ختام الإجازة قول محمد بن سعيد المرغتي: «وكتب في منسلخ ربيع الثاني عام ثلاثة وثمانين وألف»⁽⁹⁾، وتزامن هذا التاريخ مع «كبر السن والمرض الملازم للسن»⁽¹⁰⁾ بالنسبة للأستاذ المجيز.

(8) المغرب عبر التاريخ، ج. 3، ص. 33.

(9) فهرسة اليوسي، ص. 142.

(10) نفسه.

أما الظرفية السياسية لسنة 1083هـ/1672م، فطبعتها جملة من السمات، أبرزها:

أ. مرور سنة علي بيعة المولى إسماعيل على عرش المغرب (1082-1139هـ/-1727م). ويعد أبو علي اليوسي -الطالب المستجيز للمرغتي- من بين الشخصيات التي بايعت السلطان العلوي.

ب. اندلاع ثورات الأقاليم وأزمة العرش

عرفت مراكش - مدينة إقامة المرغتي - ثورة عارمة بتدبير أحمد بن مخرز، ومساندة أخيه الحران باتفاق مع عامل المدينة؛ فقد رفض أهل مراكش بيعة المولى إسماعيل الذي تحرك إليهم من فاس أواخر سنة 1082هـ/1671م، فجرت معركة بين الطرفين بضواحي المدينة، انتهت بدخول السلطان مراكش في صفر 1083هـ/يونيو 1672م⁽¹¹⁾.

ويبدو أن هذه المحن ألقت بتداعياتها على صياغة متن إجازة محمد المرغتي لأبي علي اليوسي بقوله في آخر نص الإجازة، معللاً عدم إيراده لكل أسانيده العلمية: «إذ لا قدرة لأخيك على ذلك لما علمتم من (...) فتن الوقت، التي أوجبت كل مقت»⁽¹²⁾.

ثانياً: على مستوى المكان

تعتبر كل من مراكش والدلاء المجال الجغرافي الذي جرت فيه وقائع هذه الإجازة، فالطالب المستجيز -أبو علي اليوسي- كتب إلى أستاذه من الزاوية الدلائية بالدلاء، وفي هذا يقول: «وكتبت إليه مستدعياً من الزاوية البكرية فأجازني»⁽¹³⁾.

أما الأستاذ المجيز -محمد المرغتي- فقد استقر وقتئذ بمراكش على إثر رحيله عن الدلاء. بعد تحديد الإطارين الزماني والمكاني لموضوعنا، لنا أن نقف عند مضامين مفاهيمه.

(11) المغرب عبر التاريخ، ج 3، ص 35.

(12) فهرسة اليوسي، ص 142.

(13) نفسه، ص 135. والزاوية البكرية هي الزاوية الدلائية بالدلاء، سميت بذلك نسبة إلى شيخها الأول أبو بكر الدلائلي الماطي (ت: 1021هـ/1612م).

ثالثاً: على مستوى المفاهيم

■ فهرسة الإجازة

ذكر ابن منظور⁽¹⁴⁾ في تعريف مصطلح «فهرسة» أن الفهرس عبارة عن الكتاب الذي تجمع فيه الكتب. ولم تتبعد دلالة لفظ «الفهرسة» في اصطلاحها عن معناها اللغوي؛ فقد استعملت في الاصطلاح للدلالة على نوع من المصنفات تضم ذكر مرويات عالم أو تعريفاً بشيوخه⁽¹⁵⁾.

إذا كانت الفهرسة في أصلها عبارة عن برنامج روايات، أو برنامج أشياخ، أو الجمع بينهما، إلا أن هذه المعطيات يختلف وجودها من فهرسة لأخرى، وتبعاً لذلك تعددت أصناف الفهارس المغربية وتنوعت⁽¹⁶⁾.

وقد سجلت منطقة سوس حضورها الفعلي في كتابة الفهرسة والتأليف فيها، وكتب السوسيون في أصناف الفهارس المختلفة⁽¹⁷⁾، وينتمي النوع الذي نحن بصدد دراسته إلى فهرسة الإجازة.

وفهرسة الإجازة عبارة عن فهرسة يكتبها المؤلف إجازة للراغبين في روايته بناء على استدعاء توصل به يحمل هذه الرغبة⁽¹⁸⁾.

وقد وردت فهرسة إجازة المرغتي لليوسي في عدة مصادر، منها: «العوائد المُرِّيَّة بالموائد» للمرغتي، و«الفهرسة» و«المحاضرات» لأبي علي اليوسي، و«صفوة من» انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر» للإفراني، وغيرها. وتقدم هذه الفهرسة صورة عن معالم الشخصية العلمية للمرغتي.

2. جوانب من الشخصية العلمية للمرغتي

تميزت الشخصية العلمية لمحمد بن سعيد المرغتي بتعدد معالمها، وتنوع سماتها. وقد حاولنا القيام بعملية «تشریح» لفهرسة إجازته لأبي علي اليوسي؛ قصد تلمس تلك المعالم

(14) لسان العرب، ج. 6، ص. 167 (مادة فهرس)، واللفظ ليس بعربي محض ولكنه معرب. وعلى مستوى ضبطه والنطق به وردت عدة أوجه، منها: فِهْرَس من باب زَبْرَج، أو فِهْرَس من باب دَرَهَم. (فهارس علماء المغرب، ص. 34 فما بعد).

(15) فهارس علماء المغرب، ص. 36.

(16) فهارس علماء المغرب، ص. 88. ومن أنواع الفهارس: الجامعة، والانتقائية، والجزئية، والسند، والطبقات، والرحلة، والصوفية... وعن هذه الأنواع وغيرها ينظر نفس المرجع، ص. 88 فما بعد.

(17) ينظر في هذا الإطار: «أعمال السوسيين في كتابة الفهرسة: لائحة ببليوغرافية»، عبد الله الترغي، مجلة دعوة الحق، الرباط، عدد 367، ربيع الأول والثاني 1422هـ/ماي-يونيو 2002م.

(18) فهارس علماء المغرب، ص. 91.

والوقوف على تلك السمات التي طبعت هذه الشخصية وميزتها، فما هي إذن أبرز تلك المعالم والسمات؟

1.2. العقيدة الراسخة

تتجلى في ارتباط المرغتي بالله عز وجل وبنبه صلى الله عليه وسلم، ونلمس ذلك في مستهل الإجازة وختامها؛ تارة بالثناء على الله عز وجل والتضرع إليه، وتارة أخرى بالتصلي على نبيه الكريم والتسليم عليه.

ولا يخفى على المرء ما لهذا البُعد العقدي والزاد الروحي من أثر على طالب العلم وناشره على السواء، خاصة إذا استحضرنَا الكم الهائل من النصوص القرآنية والحديثية التي تحت على تعلم العلم وتعليمه، وما أعده الله عز وجل من جزاء وثواب للعالم والمتعلم⁽¹⁹⁾، وهو ما عبر عنه المرغتي في مستهل نص الإجازة بقوله: «الحمد لله ولي الحمد ومليكه (...) المثيب لطالب العلم ومعينه وشريكه، المجيز لهم على الصراط السوي بتوفيقه وتسليكه»⁽²⁰⁾.

وهذا البعد العقدي يفضي إلى تواضع العالم.

2.2. تواضع العالم

يفصح مطلع نص الإجازة عن تواضع جم للأستاذ المجيز تجاه الطالب المستجيز، فبعد أن يُذكر المرغتي برغبة اليوسي في استجازته في مختلف العلوم، يعقد مقارنة بين مقام الطالب الذي سما في سماء العلم بما هو مشهور ومعلوم⁽²¹⁾، وفي مثله قيل: «قد استَسَمَنَ ذا وَرَمٍ، ونفخ في غير ضَرَمٍ»⁽²²⁾.

وبالمقابل، فإن مكانة الأستاذ العلمية جد متواضعة. وقيل في مثله: «تسمع بالمُعَدِّي خير من أن تراه»⁽²³⁾. وهذا التواضع العلمي خلق حضاري ميز العديد من جهابذة العلم عبر تاريخ الإسلام، أمثال أبي بكر الخطيب البغدادي (ت. 461هـ/1069م)،

(19) ينظر على سبيل المثال: الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، لأبي هلال العسكري (ت. 400هـ/1010م)؛ والرحلة في طلب الحديث»، للخطيب البغدادي (ت. 461هـ/1069م) وغيرهما.

(20) فهرسة اليوسي، ص. 135.

(21) نفسه، ص. 136.

(22) ويضرب هذا المثل عند خطأ الرأي في استجادة القبيح، واستحسان الخبيث، واستصواب الخطأ، لإمارة وهمية كاذبة. (زهرة الأكم، ج. 3، صفحتا 178 - 179).

(23) يضرب للرجل يكون له صيت حسن، فإذا رأيته اقتحمته عينك، وكان عندك خبره دون خبره. (زهرة الأكم، ج. 3، ص. 176).

محدث الوقت، وصاحب التصانيف، الذي قطع الذهبي بأنه «أحفظ أهل عصره على الإطلاق»⁽²⁴⁾. فهذا الحافظ نزل به التواضع إلى أن روى عن تلامذته من الأندلسيين كالحمّدي، والباجي⁽²⁵⁾.

إن هذا التواضع العلمي، إضافة إلى العقيدة الراسخة، أسهما في بناء الشخصية العلمية للمرغتي التي يشكل التكوين المتين إحدى دعائمها الأساسية.

3.2. التكوين المتين

تفصح فهرسة إجازة المرغتي لليوسي عن كون المحتفى به أخضع نفسه لتكوين علمي مكثف وصارم، ومن تجليات ذلك:

أولاً: تنوع محطات طلب العلم

لئن لم يفصح نص الإجازة عن كل المحطات العلمية التي شد إليها المرغتي الرحال قصد الأخذ والاستفادة، إلا أن أسماء شيوخه الواردة في «الفهرسة» تلمح إلى أن هذا العلامة شملت رحلته العلمية المحطات التالية: مرغّت، وتارودانت، وفاس، وغمارة، والدلاء، ودرعة، ومراكش.

ولا يخفى على ذي لب، ما للرحلة العلمية من فوائد علمية، ومكاسب معنوية، لبناء الشخصية العلمية؛ فانطلاقاً من فحوى النصوص القرآنية والحديثية، انصبت توجيهات السلف من العلماء والفقهاء على تشجيع طلبه العلم على الرحلة والاغتراب، لقطع العلائق الشاغلة، وتجاوز العوائق المانعة من استكمال التحصيل العلمي.

فمن العلماء من نفى الرشد عن غير الراحل من طلبه العلم؛ فقد عد يحيى بن معين (ت. 233هـ/848م) الرجل الذي «يكتب في بلده ولا يرحل في طلب الحديث» من الأربعة الذين لا يؤنس منهم الرشد⁽²⁶⁾.

أما الإمام أحمد بن حنبل (ت. 241هـ/856م) فيرى ضرورة الرحلة لطالب العلم ليكتب عن علماء الأمصار، فيُشامُ الناسَ ويسمع منهم⁽²⁷⁾.

(24) سير أعلام النبلاء، ج. 18، ص. 270 (ترجمة رقم 137).

(25) مبارك لين، «الأندلسيون وطلب الإجازة المشرقية»، مجلة كلية الشريعة، أكادير، عدد 2، يونيو 2003، ص. 86.

(26) الرحلة في طلب الحديث، ص. 88.

(27) نفسه. ويُشامُ من المُشامّة، يقال: شامتُ فلاناً؛ إذا قاربته وتعرفت ما عنده بالاختبار والكشف. (لسان العرب: 326/12، مادة: شَم).

ولا تقتصر فوائد الرحلة على التحصيل العلمي فحسب، بل تتعداه إلى تنمية الفضائل والكمالات في النفس، فهذا يحيى بن يحيى الليثي (ت. 234هـ/849م)، بعد أن أتم سماعه بالمدينة من الإمام مالك بن أنس (ت. 179هـ/795م)، بقي عنده، معللاً ذلك بقوله: «أقمتُ لأستفيد من شمائله»⁽²⁸⁾.

ثانياً: تعدد شيوخه

ذكر ابن خلدون أن الرحلة «في طلب العلوم ولقاء المشيخة، مزيد كمال في التعلم»⁽²⁹⁾. وانطلاقاً من هذا المغزى -تحقيق مزيد كمال في التعلم- حرص محمد بن سعيد المرغتي على أن تكون له مشيخة علم⁽³⁰⁾، متباعدة في توزيعها الجغرافي، ومختلفة في تخصصاتها العلمية، ومن ثم عرف باتصاله العلمي والأدبي والصوفي بأعلام عصره في المغرب.

ثالثاً: تعدد طرق أخذه للمرويات

أورد المرغتي الطرق التي أخذ بها مروياته عن شيوخ العلم، وتتمثل فيما يلي⁽³¹⁾: السماع، والقراءة، والوجداء، والإجازة بأنواعها المختلفة.

رابعاً: إسناد حصيلته العلمية

لئن لم يرد المرغتي كل أسانيد مروياته لظروفه الصحية، فإنه حرص على إيراد سنده لصحيح البخاري، واعتبره سنداً «لا يوجد في الدنيا أعلى منه عن الشيخ الحافظ الحسني أبي محمد مؤلاي، وسَمِطُ مُحَيَّاي، سيدي عبد الله بن علي بن طاهر الحسني السجلماسي»⁽³²⁾ سماعاً عليه لنحو نصفه بقراءة ولده، وباقيه بالإجازة عن عدة من شيوخ شيخه السجلماسي.

(28) عتر، تقديم الرحلة للبغدادي، صفحات 26 - 27.

(29) المقدمة، ج. 3، ص. 1255.

(30) فهرسة اليوسي، ص. 142-137، تقديم «العوائد المزرية بالموائد»، 1/ 55 - 57.

(31) هرسة اليوسي، ص. 137. وللتعرف على هذه الطرق، تنظر: «مقدمة ابن الصلاح في علوم الحديث»، لأبي عمرو عثمان الشهورري، دار الكتب العلمية، تعليق صلاح عويضة، ط1، بيروت، 1416هـ/1995م، صفحات 98 - 118، و«اختصار علوم الحديث»، لأبي الفداء ابن كثير الدمشقي، دار الكتب العلمية، ط1، بيروت، 1409هـ/1989م، صفحات 85-76.

(32) فهرسة اليوسي، ص. 137، تنظر خطاطة لهذا السند في الملحق.

خامسا: تعدد مروياته العلمية وتنوعها

نستنتج من متن إجازة المرغتي لليوسي، أن الأستاذ المجيز كانت مروياته متنوعة في تخصصها العلمي، ومتعددة المصادر على مستوى كل تخصص⁽³³⁾، ويمكن اختزال ذلك في الجدول التالي:

ر.ت	التخصص العلمي	المرويات
1	الحديث (الصاح، والسنن، والمسند)	الموطأ، والصحیحان، وسنن الترمذي، وسنن النسائي، وسنن أبي داود، ومسند أحمد، ومسند الشافعي، ومسند الدارمي، وسنن ابن ماجه، وابن حبان، والحاكم، والبيهقي، وابن خزيمة، والمصابيح للبغوي.
2	الفقه المالكي	المدونة السحنونية ومختصراتها، ورسالة ابن أبي زيد القيرواني، ومختصر خليل، وفرعا ابن الحاجب وأصلاه.
3	السيرة النبوية	كتاب ابن إسحاق ومختصره لابن هشام، والكلاعي، وغيرهم، وكتاب ابن سيد الناس اليعمري، والروض الأنف للسُّهيلي، والزهر الباسم في سيرة أبي القاسم صلى الله عليه وسلم لابن قليج، والأنوار السنية لابن جزي وغيرها.
4	القراءات	عدة كتب، رسما وتلاوة (دون أن يذكرها المرغتي)
5	التفسير	كتب (لم يسمها)
6	علم الأصول	كتب (لم يسمها)
7	علم العربية	كتب ابن مالك كلها، المنثور منها والمنظوم، وكتب ابن الحاجب، وكتب ابن هشام، ومنظومة ابن مُعْطِي، ومقدمة ابن آجروم، والجزولية.
8	علم الكلام	الإرشاد للجويني، وكتابين زكري، وعقائد السنوسي الخمس.
9	علوم الأوائل	كتب الهندسة، وكتب المنطق، وكتب الطب كالقانون ومنظومه، وكتب التنجيم، وكتب السيمياء كالجداول باختلاف أنواعها.
10	علم التصوف	كتاب «إحياء علوم الدين» للغزالي، و«قوت القلوب» لأبي طالب المكي، و«الرسالة» للقشيري، و«الحكم العطائية» وما للشيخ زروق عليها من شرح.

تأسيساً على معطيات الجدول فوقه، يتضح أن محمد بن سعيد المرغتي تعددت مرويّاته، وتنوعت على مستوى تخصصها العلمي، مما طبع شخصيته العلمية بالموسوعية.

4.2. الموسوعية العلمية

إن انخراط محمد بن سعيد المرغتي في طلب مختلف التخصصات العلمية، أفضى إلى تكوين شخصية علمية طبعتها الموسوعية التي لم تقتصر على العلوم الشرعية وعلوم اللسان، كما هو حال العديد من علماء المالكية⁽³⁴⁾، بل تجاوز المرغتي هذين الحقلين العلميين ليقتحم غمار علوم الأوائل، ولا غرو أن يعتبره الإفرائي⁽³⁵⁾ شيخاً علامة مشاركا.

ويمكن تتبع هذه المشاركة في مختلف الحقول العلمية وفروعها في الجدول التالي:

الحقل العلمي	الفروع العلمية
العلوم الشرعية	الحديث، الفقه، الأصول، التفسير، القراءات، السيرة النبوية، الفرائض، علم الكلام، التصوف.
علوم اللسان	علم البيان، علم العربية.
علوم الأوائل	الحساب، الهندسة، المنطق، الطب، التنجيم، السيمياء.

5.2. الطابعان الأشعري والمالكي

إن المتتبع لاهتمامات المرغتي على مستوى العلوم الشرعية، من خلال الشيوخ الذين أخذ عنهم والمرويات التي رواها، يستوقفه اهتمام الرجل بالعلوم المنبثقة عقائدياً عن العقيدة الأشعرية، وذلك ما يتضح جلياً من اعتماده مؤلفات إمام الحرمينّ أبي المعالي الجويني⁽³⁶⁾ وغيره.

وعلى المستوى المذهبي يتضح وفاء المرغتي للمذهب المالكي باعتداده مؤلفات الفقه المالكي لسحنون، وابن أبي زيد القيرواني، و خليل، وابن الحاجب⁽³⁷⁾.

(34) تنظر بنية التخصصات العلمية لأعلام المذهب المالكي المغاربة في مقالنا الموسوم: «أعلام المذهب المالكي المغاربة في ترتيب المدارك للقاضي عياض: مقارنة كمية»، مجلة المذهب المالكي، عدد: 3، إنزكان، ربيع 1428هـ/2007م، ص 129.

(35) الصفوة، ص 241.

(36) للتوسع في ترجمة الجويني الشعري، ينظر على سبيل المثال: الذهبي، سير أعلام النبلاء، مؤسسة بيروت، ط 10، 1994، ص 18.

(37) للتعرف على هذه المصنفات وأصحابها، ينظر على سبيل المثال: عمر الجبدي، محاضرات في تاريخ المذهب المالكي في الغرب الإسلامي، منشورات عكاظ، الرباط، 2011، ص 173 فما بعد، وعلي جمعة محمد، المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية، دار السلام، القاهرة، ط 1، 1424هـ/2004م، ص 162 فما بعد.

6.2. المنهجية العلمية

يبدو من ثنايا فهرسة إجازة المرغتي لليوسي، أن الشيخ المجيز لا يخطب خطب عشواء في كلامه وكتابته، وإنما تستوقفنا شخصية علمية مسلحة بمنهج واضح ورائد، ومن تجليات تلك المنهجية انطلاقا من فحوى فهرسة الإجازة موضوع الدراسة:

أولاً: على مستوى الشكل: نلمس خطة محكمة في البناء العامل متن الإجازة، بدءاً بافتتاحية تضمنت الحمدلة والتصلية⁽³⁸⁾، ومروراً بذكر المجل من المرويات التي أجازها لليوسي «من مقروء، ومسموع، ومُتَأَوَّل، وموجود»⁽³⁹⁾. وكل ما حصل له بأي نوع من الإجازات⁽⁴⁰⁾، ثم أتبع هذا المجل بتفصيله، وأنهى قيد الإجازة بذكر سنة ميلاده، وسنة تحرير الإجازة⁽⁴¹⁾.

ثانياً: على مستوى المضمون: أورد المرغتي معظم العناصر المكونة للفهرسة من مرويات، وشيوخ، وطرق الأخذ، وبعض الأسانيد، مع اعتذاره عن عدم إيرادها كلها، لظروف ذاتية ذات صلة بكبر سنه ومرضه، وظروف موضوعية لها علاقة بفنن الظرفية التي أوجبت كل مقت على حد قوله⁽⁴²⁾.

خلاصة واستنتاجات

صفوة القول، إن فهرسة إجازة محمد بن سعيد المرغتي لأبي علي الحسن اليوسي، تفصح عن سمات بارزة طبعت الشخصية العلمية للمرغتي، كما تبرز هذه الفهرسة معالم واضحة طبعت الحياة العلمية لمغرب القرن الهجري الحادي عشر/الميلادي السابع عشر عموماً، ولجنوب المغرب خصوصاً. فما هي الاستنتاجات التي يمكن الخروج بها مما سلف؟

أولاً: تقدم هذه الإجازة صورة لشخصية المرغتي العلمية التي طبعتها عدة سمات ومنها: العقيدة الإسلامية الراسخة التي أورثته تواضعاً جماً، وهمة عالية في طلب العلم؛ ومن تجليات هذه الهمة: تعدد محطات رحلته العلمية، ومن ثم شيوخه ومروياته ذات التخصصات المتباينة، مما أهله ليصبح عالماً مشاركاً، مع حضور البعد المنهجي في صياغة الإجازة.

(38) فهرسة اليوسي، ص. 135.

(39) نفسه، ص. 137.

(40) نفسه.

(41) نفسه، ص. 142.

(42) نفسه.

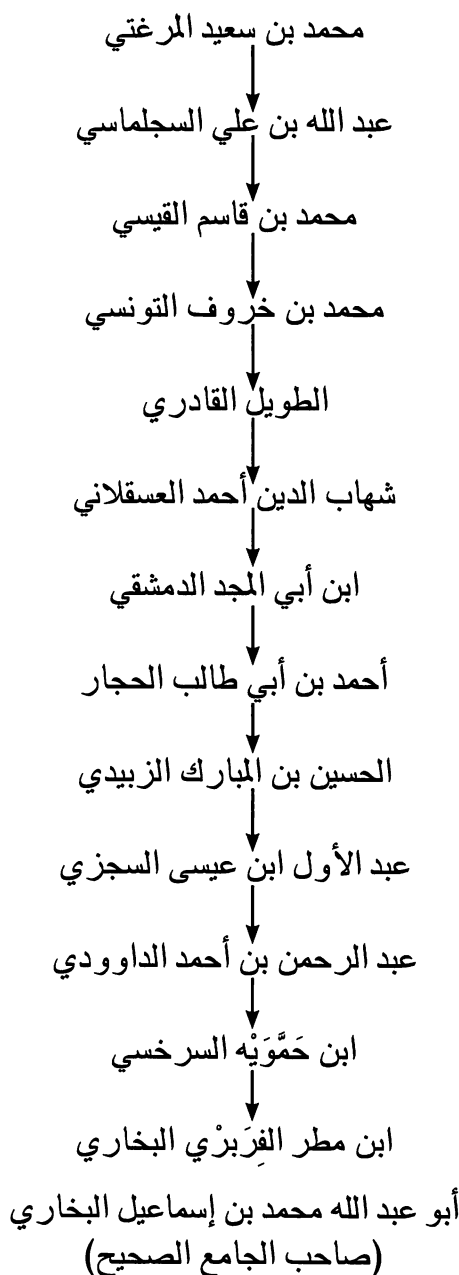
ثانياً: تعدى إشعاع العلامة المرغيتي القطر السوسي ليشمل المغرب ، مما أهله للحظوة لدى أولي الأمر في زمانه ، كما حرص علماء عصره على الجلوس إليه واستجازته . وتشكل استجازة أبي علي الحسن اليوسي لأبي عبد الله محمد المرغتي دليلاً واضحاً على المكانة العلمية التي تبوأها هذا العالم السوسي في زمانه على مستوى الوسط العلمي المغربي .

ثالثاً: تقدم هذه الفهرسة صورة للحياة العلمية والتعليمية في مغرب القرن الهجري الحادي عشر/الميلادي السابع عشر ، عاكسة للواقع الفكري السائد خلال هذا القرن على مستويات عديدة منها: المراكز العلمية الرئيسية ، وشيوخ العلم البارزين ، والتخصصات العلمية السائدة ، والمراجع العلمية المعتمدة ، وطرق أخذ العلم عن الشيوخ ، ومحطات الرحلة العلمية للأعلام ، ورحلة المرويات العلمية ، ومن ثم فلا مناص للطالب الباحث في التاريخ الثقافي من اعتماد فهرس الإجازات ضمن مصادره الأساسية .

رابعاً: ضرورة جمع مؤلفات المرغتي ، المطبوعة و المخطوطة ، الموزعة عبر: المكتبة الوطنية ، والخزانة الحسنية ، وخزانة ابن يوسف ، والخزانات الخاصة ، وذلك باستنساخها ، وإيداعها مكتبة كلية الآداب والعلوم الإنسانية بأكادير حتى تكون رهن إشارة الباحثين ، بغية الإسهام في توفير المادة المصدرية للباحثين في جوانب مختلفة من تاريخ الجنوب المغربي ، ومنها ما له صلة بالحياة العلمية والتعليمية .

ملحق

سند المرغتي إلى صحيح البخاري



المصادر والمراجع

أولاً: المصادر

- الحث على طلب العلم والاجتهاد في جمعه، أبو هلال العسكري، دراسة وتحقيق: عبد المجيد دياب، دار الفضيلة، القاهرة، مصر، 1418هـ/1998م.
- الرحلة في طلب الحديث، أبو بكر البغدادي، تحقيق: نور الدين عتر، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط. 1، 1395هـ/1975م.
- رجالات العلم العربي في سوس، محمد المختار السوسي، مؤسسة الطباعة والتغليف والنشر والتوزيع للشمال، طنجة، ط. 1، 1408هـ/1989م.
- زهرة الأكم في الأمثال والحكم، الحسن اليوسي، تحقيق: محمد حجي ومحمد الأخضر، دار الثقافة، الدار البيضاء، ط. 1، 1981.
- سوس العالمية، محمد المختار السوسي، مؤسسة بنشرة للطباعة والنشر، الدار البيضاء، 1379هـ/1960م.
- سير أعلام النبلاء، الإمام شمس الدين الذهبي، ج. 18 من أصل 23 جزءاً، تحقيق: شعيب الأرنؤوط ومحمد نعيم العرقسوس، مؤسسة الرسالة، بيروت، لبنان، ط. 7، 1410هـ/1990م.
- صفوة من انتشر من أخبار صلحاء القرن الحادي عشر، محمد بن الحاج الإفرائي، تقديم وتحقيق: عبد المجيد خيالي، مركز التراث الثقافي المغربي، البيضاء، ط. 1، 1425هـ/2004م.
- فهرسة اليوسي، الحسن اليوسي، تقديم وتحقيق: حميد حماني اليوسي، مطبعة دار الفرقان للنشر الحديث، البيضاء، ط. 1، 1425هـ/2004م.
- لسان العرب، محمد ابن منظور، دار صادر، بيروت، د.ت.
- العوائد المزرية بالموائد، محمد المرغتي، تحقيق: محمد العربي اشرفي، 3 أجزاء، نشر وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، ط. 1، 1428هـ/2007م.

ثانياً: المراجع

- الأندلسيون وطلب الإجازة المشرقية، مبارك لمن، مجلة كلية الشريعة، أكادير، عدد 2، يونيو 2003. صفحات: 18 - 88.
- الأعلام، خير الدين الزركلي، ج 6، دار العلم للملايين، بيروت، ط 7، 1986م.

- أعلام المذهب المالكي المغاربة في «ترتيب المدارك» للقاضي عياض (ت544هـ/1149م): مقارنة كمية، مبارك لين، مجلة المذهب المالكي، عدد3، إنزكان، ربيع1428هـ/2007م، صفحات: 113-137.
- أعمال السوسيين في كتابة الفهرسة: لائحة ببليوغرافية، عبد الله الترغي، مجلة دعوة الحق، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، الرباط، عدد367، ربيع الأول والثاني1422هـ/ماي-يونيو2002م.
- المغرب عبر التاريخ، إبراهيم حركات، ج. 3، نشر وتوزيع دار الرشاد الحديثة، مطبعة النجاح الجديدة، البيضاء، ط. 3، 2002م.
- فهارس علماء المغرب، عبد الله المرابط الترغي، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية بتطوان، مطبعة النجاح، البيضاء، ط. 1، 1420هـ/1999م.